صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسية مع البصرة في العصر الحديث

الاستاذ الدكتور
محمد عبدالله العزاوي
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

المستخلص

عرفت الدول الأوربية البصرة للمرة الأولى خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ، فقد نقل البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماستهم للتبشير إلى البصرة بعد سقوط جزيرة هرمز عام ١٦٢٢ وأقاموا وكالة تجارية فيها .

وتذكر وثائق وزارة الخارجية الفرنسية إن جذور العلاقات الفرنسية مع البصرة تعود إلى عام ١٦٢٣ عندما أصبحت الإرسالية التبشيرية الكرملية التي تعيش في مدينة البصرة تتمتع بحماية الحكومة الفرنسية ويذكر الرحالة الايطالي بيترو ديلافال P . Della Valle ، الذي زار البصرة في عام ١٦٢٤ : " انه بعد إن أنهى الإباء الكرمليون بناء كنيستهم حضر علي باشا والي البصرة بنفسه إليها في اليوم التالي لزيارتها " .

ويذكر لوريمر ، في الجزء الأول من كتابه : " دليل الخليج " انه كان للفرنسيين تجارة محدودة في المنسوجات بالبصرة في عشرينات القرن السابع عشر . كما يذكر الأبوان الكرمليان فنشور وسباستياني اللذان زارا البصرة في عام ١٦٥٦ : إن أميرها حسين باشا آل افراسياب كان ينظر نظرة ود واحترام إلى الإباء الكرمليين ويلبي طلباتهم ويعاملهم كأصدقاء .

وفي عام١٦٦٤ قام الرحالة الفرنسي كاريه Caree بزيارة البصرة للقيام بمهمة استطلاعية لحساب شركة الهند الشرقية الفرنسية . وفي عام ١٦٦٩ قامت الأخيرة بإرسال أول سفينة فرنسية من " الفلفل والنيلة " إلى البصرة . وقد تمكن فروتر مبعوث الشركة من تحقيق إرباح كبيرة واستطاع إن يحصل من حاكم البصرة على الامتيازات الممنوحة نفسها للانكليز والهولنديين .

ثم تزايد الاهتمام الفرنسي بالعراق في الربع الأخير من القرن السابع عشر عندما عينت فرنسا رئيس دير الكرمليين بتي دولاكروا Petit de la Croix قنصلاً لها في البصرة عام ١٦٧٤ . وبناء على هذا القرار قام احد عشر أباً من الكراملة بواجبات القنصل في المدة " ١٦٧٤ – ١٧٣٩ " . لذا فقد ظلت إدارة القنصلية الفرنسية في البصرة في أيدي رجال الدين حتى عام ١٧٣٩ ، حينما قامت الحكومة الفرنسية بتعيين بيير دو ماتنفيل Pierre de Martinville بوصفه أول قنصل في البصرة ، وذلك من اجل الإشراف على الإعمال التجارية فيها . وكان احد الأهداف الرئيسية بتعيين رجال الدين قناصل في البصرة هو لحماية الطائفة الكرملية من ملاحقة السلطات المحلية العثمانية وجعلها في مأمن من الدسائس والمتغيرات التي تحصل في البصرة ، فضلاً عن عملهم في تطوير المصالح التجارية الفرنسية .

وتأتي حرب السنوات السبع " ١٧٥٦ – ١٧٦٣ " لتظهر أهمية العراق بالنسبة للفرنسيين ، فقد ادرك قادة البحرية الفرلانسية وحكام الجزر الفرنسية في المحيط الهندي أهمية ميناء البصرة ، وأرسلوا تقاريرهم لحكومتهم محاولين لفت أنظارها الى اهمية العراق الاقتصادية والإستراتيجية .

وقد لعبت جان بايتست روسو الذي عين قنصلاً في البصرة عام ١٧٨٠ دوراً نشيطاً في حياة البصرة وبغداد وتمتع بمكانة مرموقة لدى متسلم البصرة وباشا بغداد . ولكن على الرغم من جهوده ومحاولاته إقناع الحكومة الفرنسية بضرورة الدخول في منافسة عملية ضد الانكليز في البصرة ، وإرسال الهدايا إلى كبار

الشخصيات في البصرة وبغداد ، فان الحكومة الفرنسية لم تحرك ساكناً ولم تبادر إلى اتخاذ إجراء حاكم حتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

ويلاحظ الباحث من خلال دراسته للوثائق الفرنسية إن الهدف الرئيس من إقامة القناصل الفرنسيين في البصرة هو العمل على تطوير التجارة الفرنسية وحماية البعثات الدينية وزيادة نفوذ فرنسا السياسي والثقافي ، ومراقبة النشاطات السياسية والتجارية البريطانية في العراق ومناطق الخليج العربي الأخرى .

وفي البحث بقية .....

البصرة في أعين الفرنسيين

١٧٩٨-١٦٢٣

البصرة مدينة عراقية تحدها بادية الشام من الغرب، والصحراء الرملية لشبه جزيرة العرب من الجنوب، والخليج العربي من الجنوب الشرقي، وفارس من الشرق، أما من الشمال فتحدها ولاية بغداد التي تتصل بها ولاية البصرة إلى الأعلى من بلدة علي الغربي على دجلة وحصن قلعة الدراج على الفرات [١] .

لقد عرف الأوربيون البصرة للمرة الأولى أثناء النصف الأول من القرن السادس عشر. ففي عام ١٥٢٩ قام البرتغاليون بمساعدة حاكم البصرة في صراعه ضد أحد منافسيه من شيوخ المدينة الذي كان عدواً له، مقابل وعد الحاكم لهم بتعطيل التجارة التركية [٢] . وفي عام ١٥٥٠ قام اسطول برتغالي مؤلف من ١٩سفينة حربية بزيارة البصرة بعد قيامه بطرد الأتراك من مدينة القطيف، والقيام ببناء حصن ومركز تجاري فيها، وبذلك أصبحوا جيراناً للبصرة وتحولوا إلى خطر مباشر يهددها، لاسيما بعد احتلال العثمانيين لها عام ١٥٤٦ [٣] .

وفي الأول من آب/أغسطس ١٦٠٤وصل الرحالة البرتغالي بيدروتكسيرا

Pedro Teixeira إلى البصرة على ظهر سفينة صغيرة تابعة لقبطان هرمز البرتغالي يرافقه تاجر سوري واثنان من البرتغاليين. ويذكر تكسيرا عن رحلته، قائلاً: ((وصلنا في الأول من شهر أغسطس إلى شط العرب الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات في منطقة القرنة، ومنها على بعد ثلاثة أيام تقع مدينة البصرة. وقد وجدنا في القرنة قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة فيها بالمسارات المائية القريبة منها التي تتوزع إلى الشمال والجنوب. وتمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة التي تصدر إلى بغداد ومواني‌ء فارس وهرمز وتُعد غذاء رئيس فيها، علاوة على الخضار والفواكه والحبوب والارز، إلى جانب أنواع المواشي والأسماك النهرية.

وتُعد البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس والبحرين والأحساء والهند عن طريق هرمز وبغداد. وهواء البصرة غير نقي وغير صحي، ومناخها حار جداً، وأغلب سكانها من الأتراك والعرب. ويتم الانتقال البري في البصرة بواسطة الجمال والبغال والخيول التي يصدر بعضها إلى هرمز ومنها إلى الأسواق الهندية)) (٤).

وفي عام ١٦٢٢نقل البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماستهم للتبشير إلى البصرة بعد سقوط جزيرة هرمز بيد الانكليز والفرس (٥) . وكان البرتغاليون قد تعهدوا بحماية البصرة من الغزو الفارسي لها أثناء سنتي ١٦٢٤و ١٦٢٥، إذ كلفت خمس سفن حربية برتغالية في شط العرب بالدفاع عن البصرة. وفي مقابل ذلك حصل البرتغاليون على امتيازات اقتصادية وسياسية في جنوب العراق، وبقيت سفنهم تتردد على شط العرب حتى عام ١٦٤٠ (٦) .

أما علاقة الانكليز مع البصرة فترجع إلى عام ١٥٨١عندما قام التاجر الانكليزي جون نيوبري John Newberie برحلة من حلب إلى البصرة. وبعد سنتين من هذا التاريخ قام نيوبري مع ثلاثة من المغامرين الانكليز بزيارة البصرة وهم في طريقهم إلى الخليج وهرمز، وذلك للتعرف على حقيقية الوضع التجاري في الشرق (٧) .

وقد حاولت شركة الهند الشرقية الانكليزية جعل البصرة من ضمن أسواقها في محاولة منها للتخفيف من المنافسة الهولندية التي كانت قوية في بندر عباس أثناء معظم القرن السابع عشر، وعليه فقد أرسلت عام ١٦٣٥م أول سفنها التجارية بحمولة صغيرة.وقد استمرت التجارة مع البصرة الأمر الذي شجع الشركة لأن تتخذ قراراً عام ١٦٤٥م بنقل جميع ممتلكاتها من بندر عباس إلى البصرة لتجنب المنافسة الهولندية والابتعاد عن مشاكل النزاع التي كانت تحدث بين الهولنديين والفرس (٨). ومع ذلك لم يكن للشركة ممثلون يقيمون بصورة دائمة في البصرة طيلة القرن السابع عشر، وذلك بسبب ضآلة التجارة من جهة، فضلا عن حالة اللاستقرار التي كانت سائدة في البصرة (٩) .

أما الهولنديون فقد ظهروا في البصرة بعد أن عرفوا أن للأوربيين الآخرين تجارة هناك فأسرعوا إلى إرسال أسطول مؤلف من ثماني سفن إلى البصرة وأنزلوا حمولة من مختلف البضائع في منطقة المناوي. وكان للامتيازات والتسهيلات التي منحها أفراسياب للهولنديين الأثر الكبير في تقوية نفوذهم إلى درجة أن شركة الهند الشرقية الانكليزية دعت إلى إيقاف نشاطها في البصرة عام ١٦٥٧ تاركة الساحة التجارية مفتوحة أمام الهولنديين (١٠).

أما علاقات فرنسا مع البصرة فتعود إلى عام ١٦٢٣ عندما أصبح رهبان فرقة الكراملة، الذين جاءوا من فارس إلى البصرة، يتمتعون بحماية الحكومة الفرنسية (١١) . وكانت معاهدة عام ١٥٣٥م، التي عقدت بين السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) وفرانسوا الأول François1 ملك فرنسا (١٥١٥-١٥٤٧)، قد منحت فرنسا حقوقاً وامتيازات واسعة في الامبراطورية العثمانية، فقد كان سفير فرنسا في اسطنبول يتقدم كل السفراء الاجانب، وهذا اعتراف من الأتراك بمزاعم النظام الملكي الفرنسي الذي يدعو لعدم الاعتراف بتمثيل أعلى من تمثيله داخل العالم المسيحي كله. وقد عمت هذه الامتيازات لكي تشمل ممثلي فرنسا في مناطق اخرى،

وهي تضمن بإسم الصداقة الفرنسية-التركية أمان الحجاج ورجال الدين المسيحيين، فضلاً عن أمن التجار والوكلاء والقناصل والرعايا الفرنسيين في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية. وسمحت هذه المعاهدة للرعايا الفرنسيين بالخضوع للقوانين والمحاكم الفرنسية، والتمتع بحرية الانتقال والتجارة في الأراضي العثمانية وممارسة طقوسهم الدينية. وكانت تلك مناسبة لإقامة علاقات فرنسية مع الدول الخاضعة للسيطرة العثمانية (١٢).

ويمكن القول أن فرنسا كانت من الدول التي اهتمت بإقامة علاقات مع البصرة، بسبب موقعها الممتاز الذي يشكل حلقة من حلقات طريقها إلى الهند ونقل التجارة إلى أوربا. ويذكر الرحالة الايطالي بيترو ديلافالdella VallePietro، الذي زار البصرة في عام ١٦٢٥ قائلاً: ((وبعد أن أنهى الآباء الكرمليون بناء كنيستهم في ١٣نيسان/أبريل بترخيص من باشا البصرة، وبالنقود التي جمعوها من تبرعات الجالية الأوربية، حضر الباشا إليها في اليوم التالي لزيارتها)) (١٣).

وكان قد حلَّ بالبصرة، في الوقت نفسه تقريباً، رهبان برتغاليون من فرقة الأوغسطينيين يحمل كبيرهم لقب ((نائب رئيس أساقفة كوا)) في الهند البرتغالية. ولم تلبث أن قامت بين هاتين الفرقتين الكاثوليكيتين منافسة شديدة تحولت بسرعة إلى عداوة مكشوفة بلغت بشهادة الرحالة الإيطالي ديلافال إلى حد أن الأوغسطينيين كانوا يهددون كل كاثوليكي يجرؤ على التقرب من الكرمليين بالحرمان من الكنيسة. ولم يتدخل باشوات البصرة في الخلافات التي نشبت بين الرهبان الفرنسيين والبرتغاليين على السواء، وذلك لأنهم كانوا بحاجة لمساعدة الاسطول البرتغالي في صراعهم مع الفرس من جهة، ومن الجهة الأخرى لم يكن بمقدورهم الوقوف ضد الفرنسيين خوفاً من أن تهب الدبلوماسية الفرنسية للدفاع عنهم. وقد انتهى الصراع بين الأوغسطينيين والكرمليين بانتصار الاخيرين الذي استمروا في العيش بالبصرة، في الوقت الذي انمحت فيه حتى ذكرى الأوغسطينيين. فقد انعكس انتهاء النفوذ

البرتغالي في الهند والخليج العربي على الوجود الأوغسطيني في البصرة فتحتم عليهم ترك المدينة بعد أن أصبحوا غير قادرين على مواصلة الصراع مع الفرقة التي تنافسهم [١٤].

وفي عام ١٦٢٧ وصل الرحالة الفرنسي كاريهA. Carré إلى البصرة حيث نزل ضيفاً على الكراملة [١٥] . ويذكر لوريمرLorimerJ.G. انه كانت للفرنسيين تجارة محدودة في المنسوجات بالبصرة في عشرينات القرن السابع عشر [١٧] .وفي ٤حزيران/يونيو١٦٣٨ عين الأب برناردست تيريزBernard Dest Terrez من قبل البابا اربان الثامن UrbainVIII/ كأول أسقف في مدينة بابل، وهو من الكراملة الفرنسيين لتقديم الخدمات إلى المسيحين [١٦]. وفي هذا العام أيضاً وصل الرحالة الفرنسي الشهير جان بابتست تافرنيهJean Babtiste Tavernier إلى البصرة حيث أقام لمدة ثلاثة أسابيع في دار الكرمليين استطاع خلالها أن يحصل بواسطة أحد سفراء المغول على كتاب أمان من السلطان العثماني مراد الرابع يضمن للبعثة الكرملية في البصرة سلامة بيوتها وكنائسها في حالة استيلائه عليها. وقد تحدث تافرنييه عن تجارة البصرة، قائلاً: ((ويجلب الهولنديون التوابل إلى البصرة كل سنة، ويحمل إليها الانكليز الفلفل والقرنفل، وأما البرتغاليون فلا تجارة لهم معها. ويجلب إليها الهنود النسيج والنيلة. وان في البصرة تجاراً من مختلف البلدان يقصدونها لشراء البضائع التي ترد إليها من جزر الهند الشرقية)). وحدد تافرنيه الرسوم الكمركية المفروضة على البضائع بـ(٥%) [١٨] .

وفي عام ١٦٥٢قام الرحالة الفرنسي فيليب R. P.Phillipe بزيارة البصرة حيث ذكر أن لها تجارة نشطة مع الهند [١٩]. ويذكر الأبوان الكرمليان الايطاليان فنشنو وسباستياني اللذان زارا البصرة في عام ١٦٥٦ أن أميرها حسين باشا آل افراسياب كان ينظر نظرة ود واحترام إلى الإباء الكرمليين ويلبي طلباتهم ويعاملهم كأصدقاء له [٢٠] . ويؤكد الرحالة الهولندي كارستننيبورNiebuhr*Carsten* أن

حسين باشا آل أفراسياب قد منح حرية واسعة للمسيحيين واجتذب كثيراً منهم للاستقرار في البصرة وبذلك ارتفع مستوى التجارة [٢١].

وقد شهدت البصرة نوعاً من الاستقرار السياسي والاقتصادي بفضل حكومة آل أفراسياب وترحيبها بالتجار الأجانب الذين شجعهم الأمن والحرية في البصرة على زيادة تجارتهم معها [٢٢]. ووصف الرحالة البرتغالي كودينهو M. Godinho سوق البصرة في عام ١٦٦٣بأنه أعظم سوق تجاري في هذه البحار [٢٣]. كما قام الرحالة الفرنسي كاريه بزيارة ثانية إلى البصرة في عام ١٦٦٤، وذلك للقيام بمهمة استطلاعية لحساب شركة الهند الشرقية الفرنسية لملاحظة الأعمال التجارية فيها [٢٤].

وعندما استقر الفرنسيون في سورات عام ١٦٦٨ كان همهم التجارة مع الخليج العربي على غرار الانكليز والهولنديين، إذ قامت شركة الهند الشرقية الفرنسية في العام التالي بإرسال أول سفينة فرنسية من الفلفل والنيلة إلى البصرة. وقد تمكن فروتـرFrotterمبعوث الشركة من تحقيق أرباح كبيرة، وأن يحصل من متسلم البصرة على الامتيازات الممنوحة للانكليز والهولنديين نفسها [٢٥] .

وفي عام ١٦٧٤ أصدر لويس الرابع عشر (١٦٤٣-١٧١٥) قراراً بتعيين رئيس البعثة التبشيرية الكرملية بتي دولا كروا Petit de la Croix قنصلاً فرنسياً في البصرة مدى الحياة. وبناء على هذا القرار قام أحد عشر أباً من الكراملة بواجبات القنصل في البصرة في المدة ١٦٧٤-١٧٣٩ [٢٦]. وكان أحد الأهداف الرئيسية بتعيين رجال الدين قناصل في البصرة هو لحماية الطائفة الكرملية من المضايقات والمصاعب التي تتعرض لها من جانب الحكام المحليين الأتراك الذين لم يكن موقفهم من الرهبان الكاثوليك يتميز بالعطف كما كان الحال عند أول ظهورهم، وجعل الطائفة في مأمن من الدسائس والمتغيرات السياسية التي تحصل في البصرة، فضلاً عن عملهم في تطوير مصالح فرنسا التجارية في هذا الميناء [٢٧].

وعندما اشتكى الكراملة بأن متسلم البصرة كان يصر على دفع رسوم كمركية

أكثر من المقرر في الامتيازات الممنوحة إلى الفرنسيين [٢٨] ، تدخل السفير الفرنسي في اسطنبول دومينوس ماركيز دو نوانتل Dominus Marquis de Nointel، لدى الباب العالي وحصل على أمر رسمي من السلطان مراد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) يضمن الحماية الكاملة للكراملة الفرنسيين في البصرة، فضلاً عن الحرية في ممارسة طقوسهم الدينية وتعاليمهم المسيحية، والسماح لهم بمزاولة التجارة دون مضايقات في كل أرجاء الامبراطورية العثمانية، وعدم مطالبتهم بالرسوم الكمركية غير العادلة [٢٩]. وفي ٢١آب/أغسطس ١٦٨٢وصلت احدى السفن التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية الفرنسية المسماة لوفاتور كورونيه Le Vatour Coronnéإلى البصرة وكان على ظهرها مجموعة من الفرنسيين [٣٠].

إن الموقع الجغرافي الذي تتمتع به مدينة البصرة، وعلاقاتها التجارية مع الهند وفارس ومسقط واسطنبول وسوريا، والسفن التي تصلها من أوربا وآسيا [٣١]، واحتلال الأفغان لفارس (١٧٢٢-١٧٢٩) وتوقف التجارة معها، دفع شركة الهند الشرقية الفرنسية إلى زيادة اهتمامها بالبصرة [٣٢] . ففي ديسمبر/كانون الأول ١٧٢٢ وصلت إحدى السفن الهولندية المستأجرة لحساب شركة الهند الشرقية الفرنسية وعليها التاجر الفرنسي بابتست مارتان Babtiste Martin مع حمولة تقدر بـ(٦٠) ألف روبية إلى ميناء البصرة، وكان من المقرر أن تحمل عند عودتها من البصرة الخيول إلى بندر ريق. وقد اختلف قبطان السفينة راكوز Ragouz والأب بول P. Paul رئيس المبشرين مع موظفي الكمارك حول مسألة العوائد الكمركية، ففي الوقت الذي أصرَّ فيه الفرنسيون على دفع رسم كمركي قدره ٣% على الأنسجة الصوفية و٥%على البضائع الأخرى، أكدت سلطات الميناء على ضرورة دفع ٥% على جميع البضائع، وهي الضريبة التي كان يدفعها الانكليز والهولنديين [٣٣].

وفي ٢٣شباط/فبراير١٧٢٣حصل الأب بول رئيس المبشرين على أمر من أحمد

باشا، والي بغداد يقضي بأن تدفع شركة الهند الشرقية الفرنسية رسماً كمركياً قدره ٣% على المنسوجات و٤% على البضائع الخاضعة للوزن [٣٤]. ولكن ظلت مسألة مقدار الضريبة التي يدفعها الفرنسيون في البصرة دون حل، على الرغم من حصول السفير الفرنسي في اسطنبول على فرمان جديد من السلطات العثمانية في نوفمبر/تشرين الثاني ١٧٢٩ يحدد مقدار الرسوم الكمركية على الفرنسيين بـ٣% من قيمة البضاعة [٣٥] . وكان لهذا الفرمان أهمية قليلة بالنسبة للفرنسيين في البصرة لأن حكام هذه المدينة كانوا مستقلين عملياً عن الحكومة العثمانية، وكانوا لا يعلقون أهمية كبيرة على مثل هذه بالفرمانات.

وقد استمر الآباء الكرمليون يشرفون على تجارة شركة الهند الشرقية الفرنسية حتى عام ١٧٢٨ عندما قامت الشركة بتعيين رينو Regnault، ممثلاً عنها بصورة مؤقتة في البصرة للإشراف على بيع وشراء السلع والعناية بمصالح الشركة [٣٦].

وشهدت البصرة منذ بداية عام ١٧٣٠ نزاعاً حاداً بين البعثة التبشيرية وممثلي الشركة بخصوص الأحقية في ممارسة الأعمال التجارية، الأمر الذي دفع دو فيلونوفdeVilleneuve، السفير الفرنسي في اسطنبول أن يطلب من الأب بلا سيد P. Placideرئيس البعثة التبشيرية عدم عرقلة الأعمال التجارية للشركة [٣٧]. وفي الوقت نفسه أصدر تعليماته إلى فورنية Fournierممثل الشركة في البصرة بضرورة إقامة علاقات طيبة مع المبشرين [٣٨] .

وفي الوقت الذي كان فيه مجلس الشركة في بوند شيري يعتقد بعدم قدرة الأب بلاسيد الذي يتمتع بصفة القنصل على ممارسة الوظائف التجارية، وان تدخلاته لا تخدم الشركة، فقد أبلغ دوبوا رولان Dubois Rolland ممثل الشركة في البصرة المجلس في تموز/يوليو١٧٣٤، قائلاً: ((إن المبشرين الذين يرغبون الاحتفاظ بصفة القنصل، يجبرون التجار بالخضوع لسلطتهم القضائية، ويطالبونهم بدفع الرسوم القنصلية على جميع البضائع الواردة والصادرة من البصرة)) [٣٩]. لذا فقد طالب

مجلس الشركة في بوند شيري من السفير الفرنسي في اسطنبول ضرورة القيام بسحب الوظائف القنصلية من المبشرين الكراملة أو تحديد صلاحياتهم التجارية[٤٠].

وفي بداية عام ١٧٣٥ منح دوبوا لقب ممثل الأمة الفرنسية في البصرة بعد أن استلم تعليمات صريحة من مجلس بوند شيري تؤكد حقه في ممارسة جميع الأعمال التجارية التابعة للشركة بدون تدخل الكراملة، وكلف بطرد جميع التجار المغامرين الذين يعرضون سمعة فرنسا وتجارتها للخطر. واكدت التعليمات أن على جميع ربابنة وملاحي السفن الهندية الإعتراف به كممثل للأمة الفرنسية[٤١] . ومن جهة أخرى كتب الأب امبرواز Ambroize رئيس المبشرين إلى مجلس الشركة في بوند شيري يؤكد على ضرورة إقامة علاقات طيبة بين البعثة التبشيرية وموظفي الشركة في البصرة[٤٢] .

وكانت المداولات الخاصة بين المجلس الأعلى في بوند شيري ومقر الشركة في باريس حول ضرورة إقامة قنصلية فرنسية في البصرة ليس لها علاقة بالمبشرين قد انتهت في شهر آذار/مارس ١٧٣٦عندما أصدر الملك أوامره بأن تكون الوظائف القنصلية بعهدة موظفي الشركة. وقد عين مجلس إدارة الشركة ثلاث من موظفيها العاملين في الهند وهم ميران Miran وبيير دو مارتنفيل Pierre de Martinville ودويلا نوئي de la Noë لإشغال هذا المنصب وترك الحرية لمجلس بوند شيري في تعيين واحد من هؤلاء ليكون قنصلاً في البصرة [٤٣]. وبناء على ذلك كتب الوزير دو موربـاسde Maurepasإلى دو فيلونوف من اجل الحصول على البراءة القنصلية من السلطات العثمانية وارسالها إلى القنصل المعين في البصرة[٤٤] . وكان على القنصل بموجب مقترح الشركة أن يبقى على اتصال مباشر بمقر الشركة في باريس، والمجلس الأعلى في بوند شيري، ومجلس الشركة في شاندرناكور، والسفير الفرنسي في اسطنبول، والقنصل الفرنسي في حلب، وان يقيم علاقات طيبة مع البعثات التبشيرية وان يقدم لها الحماية اللازمة لممارسة شعائرها الدينية بكل حرية، وان يقوم بتحديد البضائع التي تحظى باهتمام التجار، وان يقوم بإرسال النقود الفضية إلى بوند شيري وشاندر ناكور بغية تبديلها بروبيات في الهند، وان يشرف

على الطريق البري لنقل البريد. وقد حدد مجلس إدارة الشركة راتب القنصل السنوي بـ (١٥٠٠) ليرة، علاوة على قرار مجلس بوند شيري بتخصيص نسبة ٢% كرسوم قنصلية على البضائع المباعة في البصرة [٤٥].

وفي أيلول/سبتمبر ١٧٣٧ أُختير ميران،أحد أعضاء مجلس الشركة في بوند شيري، الذي قضى وقتاً طويلاً في فارس، قنصلاً في البصرة، لكنه رفض هذا المنصب، الأمر الذي دفع مجلس بوند شيري إلى تعيين بيير دو مارتنيفل المستشار في مجلس الشركة، بدلاً عنه. ولكن الخلافات بين مجلس بوند شيري ومجلس شاندرناكور حول مسألة الرسوم القنصلية، وانشغال الشركة في مسألة وضع يدها على إقليم كاريكال قد أخر سفر مارتنفيل لاستلام مهامه بوصفه قنصلا في البصرة ومشرفاً على الوكالة التجارية في بندر عباس، كما عينdeLarche دولارش مساعداً له [٤٦].

وفي الأول من نيسان/ابريل ١٧٣٩ غادر مارتنفيل ودولارشبوند شيري على ظهر السفينة اورو مع (٤٠٠) بالة من القهوة البوربونية. وفي ٢١حزيران/يونيو دخل مارتنفيل شط العرب. وكان عليه ان يقضي بين أربعة وخمسة أيام للسير نحو عالية النهر، ولما كانت الرياح عكسية تأخر وصول مارتنفيل إلى البصرة حتى ٢٧ حزيران/يونيو. وعند وصوله استلم مارتنفيل رسالة من الفرنسيين المقيمين في البصرة للترحيب به. وقد أدرك مارتنفيل من خلال هذه الرسالة مدى الصعوبات التي ستواجهه عند ممارسة مهامه، وذلك بسبب عدم استلام متسلم البصرة التعليمات الخاصة بالاعتراف به كقنصل في البصرة. لذا قرر مارتنفيل عدم القيام بزيارته. وفي ١٠تموز/يوليو كتب مارتنفيل إلى أحمد باشا والي بغداد يعلمه بوصوله. وفي نهاية تموز/يوليو، وعلى الرغم من مؤامرات الانكليز والهولنديين، أستلم مارتنفيل موافقة والي بغداد الخاصة بالاعتراف به قنصلاً لفرنسا في البصرة وحقه في رفع العلم الفرنسي على دار القنصلية، وان يعامل كما يعامل بقية القناصل الفرنسيين في موانئ الشرق، وان يتقدم على بقية القناصل الانكليز والهولنديين المقيمين في البصرة. وكان لهذه الخطوة أثرها على علاقة مارتنفيل بمتسلم البصرة الذي استقبله

بحفاوة بالغة في ٢٠آب/أغسطس علاوة على تأثيرها في نفوس أهالي البصرة والعاملين الأوربيين في المدينة [٤٧].

لقد ادرك مارتنفيل أن السياسة الحكيمة تقتضي تقديم الهدايا إلى والي بغداد ومتسلم البصرة وإلى الشخصيات المهمة القريبة منهما، ما دامت هذه الهدايا من الأمور المتعارف عليها لدى الحكام الشرقيين، وذلك من أجل أن تساعد في انجاح مهمته [٤٨].

وفي عهد مارتنفيل استمرت أخبار فرنسا تصل عن طريق بريد بصرة-حلب الصحراوي. فعندما بدأت حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠-١٧٤٨) كان قناصلة فرنسا وبريطانيا وهولندا يشتركون في نفقات إرسال البريد إلى حلب كل شهرين. وكانت أخبار الهند تصل إلى البصرة عن طريق السفن القادمة إلى شط العرب في شهري آيار/مايو وحزيران/يونيو وتغادر في تموز/يوليو وهي تحمل أخبار فرنسا إلى الهند. ولما كان من السهل الكشف عن الرسائل الفرنسية المهمة ومصادرتها من قبل الانكليز، فقد اكتشف مارتنفيل طريقة ذكية للحفاظ على سلامة وصول الرسائل وهي إرسالها إلى الهند بواسطة بريد البعثة التبشيرية في البصرة وليس عن طريق بريد القنصلية الذي يثير الشبهات [٤٩].

وفي ٤آيار/مايو ١٧٤٠كتب مارتنفيل إلى مجلس مدراء الشركة في باريس موضحاً أفكاره المتعلقة بالنزاع مع الكراملة الايطاليين العاملين في الارسالية التبشيرية، مؤكداً أن هؤلاء لا يعملون لصالح فرنسا وأن الأب شارل ريمون دوسان جوزيف، الذي سبق وأن خدم في أصفهان وحلب، هو عدو للأمة الفرنسية ويعمل لصالح الانكليز ويتمتع بحمايتهم. وطالب بضرورة أن يكون رئيس المبشرين من الكراملة الفرنسيين المقيمين في البصرة وليس من الكراملة الايطاليين. كما عارض بقوة أن تكون كنيسة البصرة مقراً لارتداد بعض المسلمين عن دينهم، وطالب من رئيس المبشرين معاقبة بعض رجال الدين الايطاليين الذين كانوا يعملون لصالح الارتداد، لاسيما أن هذا العمل قد يؤدي إلى اغلاق الكنيسة وقتل جميع المسيحيين [٥٠].

وفيما يتعلق بإقامة وكالة في بندر عباس، كتب مارتنفيل إلى الشركة في آيار/مايو

١٧٤٠، يقول: ((إن الوضع في فارس لا يسمح بالتفكير في إقامة مؤسسة جديدة في بندر عباس، لاسيما أن القسم الأكبر من سكان فارس قد هلك بسبب حروب نادر شاه، وأن الآخرين يعيشون بتعاسة كبيرة، إذ يبيعون ما يملكون من اجل العيش ودفع الضرائب، ولم تستثن التجارة والتجار من المضايقات. فالانكليز الذين حصلوا على امتيازات عديدة من فارس، لم يستطيعوا الحصول على الضمانات الكافية، واضطر الكثير منهم إلى ترك الوكالة في اصفهان، لاسيما أن الهدايا والضرائب قد امتصت حتى رأس المال. ولم يستطع الهولنديون الحصول على الأرباح بسبب ثورات فارس الأخيرة)). لذا فقد اقترح مارتنفيل إغلاق وكالة بندر عباس، وذلك بعد موت القائمين عليها وهم بومون Beaumont وبيلكاردBellegarde [٥١] في الوقت نفسه الذي عارض فيه مارتنفيل إقامة وكالة في بندر عباس، اقترح على الشركة إقامة وكالة في بغداد لبيع الأقمشة الصوفية التي تأتي من فرنسا بطريق حلب الصحراوي[٥٢] .

وعلى الرغم من عدم استقرار أوضاع البصرة، بسبب التهديدات المستمرة من جانب فارس من جهة، وثورات عرب المنتفق وصراعهم مع متسلم البصرة من جهة اخرى، فقد ازدهرت تجارة البصرة في عهد مارتنفيل الذي عمل على تنظيم مبيعات الشركة واسترداد الديون الكبيرة لدى بعض تجار المدينة، وانتهاج سياسة البيع نقداً. وبأقل من مدة شهرين استطاع مارتنفيل أن يبيع (٢٠٠) بالة من القوة البوربونية بسعر (٢٦) محمودي للمن الواحد. ولما كانت قهوة اليمن هي المفضلة في البصرة، بسبب نوعيتها الجيدة وطريقة تعبئتها، طلب مارتنفيل من الشركة ضرورة الاهتمام بتعبئة القهوة البوربونية، قائلاً: ((وبهذه الطريقة سيكون بمقدوري أن أبيع (٣٠٠) بالة من القهوة سنوياً وبأفضل الأسعار)) [٥٣] .

وتأتي الأقمشة الصوفية والكتان الذي يصدر من فرنسا إلى الهند بالدرجة الثانية بعد القهوة البوربونية وتصل إلى البصرة من البنغال وساحل كورومانـدل. وكتب مارتنفيل إلى المجلس الأعلى يقول أن النوعيات المستوردة منها لا تلبي حاجات

ورغبات سكان البصرة الذين يفضلون اللون الأسمر الغامق وليس الألوان الحمراء والزرقاء، وطلب من الشركة ضرورة الاستجابة لهذه الرغبات [٥٤] .

ويشكل الحديد، من حيث الأهمية، المادة المستوردة الثالثة. وكان هناك نوعين من الحديد، الحديد المربع والحديد المسطح. وطلب مارتنفيل من المجلس الأعلى عدم إرسال الحديد المربع إلى البصرة لأنه لا يباع إلا بصعوبة كبيرة، وان السكان يفضلون الحديد المسطح الذي يباع بأسعار مرتفعة قد تصل إلى ١٥و١٦محمودي للقطعة الواحدة، وطالب بإرسال المزيد من هذا النوع [٥٥]. واستطاع مارتنفيل أن يبيع كميات قليلة من التوابل والسكر والزنجبيل والزعفران والرصاص وخشب الصندل والقرفة والتيلة والفلفل والهيل والاشرطة الذهبية والفوانيس والشمعدانات [٥٦] .

وعلى الرغم من أن هيئة القنصلية الفرنسية في البصرة كانت تتألف من القنصل مارتنفيل والمساعد دولارش والمترجم اوترOtter، الذي وصل إلى البصرة من فارس في حزيران/يونيو ١٧٣٩، وستة من الخدم، فقد أدار مارتنفيل الأعمال التجارية بنجاح كبير، إذ شهدت البصرة زيادة كبيرة في التجارة نتيجة لجهوده وعلاقاته الطيبة مع باشا بغداد. وقد وصلت البصرة خلال مرحلة قنصليته (حزيران/ يونيو١٧٣٩- تشرين الثاني/نوفمبر ١٧٤١) ستة سفن فرنسية، لذا يمكن عد مرحلة قنصلية مارتنفيل من أكثر المرحل إزدهاراً بالنسبة للتجارة الفرنسية مع البصرة، فقد تجاوزت مبيعات الشركة من القهوة وحدها أكثر من (٣٠٠٠)بالة [٥٧].

وتؤكد مراسلات المجلس الأعلى مع مارتنفيل على مدى التقدير الكبير الذي يكنه المجلس للخدمات الكبيرة التي يقدمها مارتنفيل أثناء عمله كقنصل للبصرة. ولكن مناخ البصرة غير الصحي وفيضان شط العرب في آب/أغسطس ١٧٤٠ وانتشار الطاعون وموت الالاف من السكان، أدى إلى سوء صحة مارتنفيل، الأمر الذي دفعه أن يكتب إلى مجلس مديري الشركة في باريس يطلب منهم نقله إلى مكان آخر غير البصرة. وجاء في رسالته المؤرخة في ٢٦تشرين الأول/اكتوبر ١٧٤١ : ((إن الثقة

التي أناطتني بها الشركة لتحمل مسؤولية البصرة منعتني أن اوضح لكم، أيها السادة، حالتي الصحية السيئة التي أمر بها في البصرة منذ سنتين، فمرضي لم يتوقف بسبب إقامتي الطويلة في البصرة، وان هذا يجعلني غير قادر على مواصلة خدمتي، لهذا أرجو نقلي إلى مركز ماهيMheالذي سبق وان خدمت فيه لمدة ثلاث سنوات)) [٥٨].

وأكد ان قنصلية البصرة قد أصبحت قوية، وان أعمال الفرنسيين التجارية تسير بشكل جيد [٥٩] . ولكن مجلس مديري الشركة لم يستجب لطلب مارتنفيل. وفي ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٧٤١ توفي مارتنفيل في البصرة ودفن فيها [٦٠].

بعد موت مارتنفيل كلف المجلس الأعلى لبوندشيري غوس Gosse ليكون وكيلاً للقنصلية إلى حين تعيين قنصل جديد. وكان غوس يعمل مستشاراً لمارتنفيل منذ منتصف عام ١٧٤١، وذلك بعد عودة دولارش إلى بوندشيري. وحدد المجلس الأعلى راتبه السنوي بـ(١٠٠٠) ليرة [٦١].

لقد واجه غوس متاعب كبيرة خلال مدة قنصليته التي استمرت حتى عام ١٧٤٥، فعلاوة على مرضه الشديد، تعرضت البصرة إلى انتشار الطاعون عام ١٧٤٢ وغادر الكثير من سكانها إلى الخارج، وتوقفت الأعمال التجارية بسبب امتناع تجار بغداد وحلب عن المجيء إلى البصرة، علاوة على تهديدات نادر شاه المستمرة في احتلال المدينة. وكان على غوس أن ينشغل أولاً في تصفية ميراث مارتنفيل، واسترداد ديون الشركة من التجار، وتصفية ديون وبضائع ومحتويات وكالة بندر عباس بعد قرار الشركة بإلغائها نهائياً.

لقد وجد غوس نفسه وحيداً في القنصلية، لاسيما بعد رحيل اوتر إلى فرنسا، فلا ترجمان ولا مستشار، علاوة على قلة راتبه وانقطاع حقوقه القنصلية المقررة على البضائع. وكان غوس يلح باستمرار على مقر الشركة في باريس والسفير الفرنسي في اسطنبول والمجلس الأعلى للشركة في بوندشيري ضرورة ارسال مترجماً للقنصلية لأنه لا يمكن الثقة بالمترجمين الوطنيين لعدم تمتعهم بالاستقلالية عن

السلطات المحلية، وبدأ يشتكي باستمرار من وضعه الصعب وقلة وصول السفن الفرنسية إلى البصرة، وأكد للمجلس أنه لا يستطيع أن يعيش براتبه القليل وحقوقه القنصلية، وكتب يقول: ((إن وكلاءنا الذين يعيشون في الخارج، حتى الذين يعملون في المدن النائية، لديهم الكثير من التسهيلات، كالاتصالات التلغرافية والاعتمادات، أما نحن فان أرباح عملنا لا تغطي مصاريف الراتب الشخصي وإيجارات الأبنية والهدايا التي ينبغي تقديمها إلى الباشا وأصدقائه)) [٦٢] . كان غوس على عكس مارتنفيل، يعارض إقامة وكالة تجارية في بغداد، وأكد للمجلس الأعلى للشركة في بوندشيري أن الأرباح العائدة من الوكالة في حالة افتتاحها لا تغطي مصاريف الوكالة الخاصة بايجار البناية ورواتب الافراد والهدايا التي ينبغي تقديمها للباشا والمقربين منه، علاوة على أن تصدير الاصواف من بغداد إلى فارس سيواجه متاعب كبيرة بسبب حروب نادر شاه وعدم استقرار فارس، وأوضح أن المستفيد الوحيد من إقامة الوكالة هم رجال الدين الكراملة في بغداد، لاسيما بعد قرار الملك بفتح قنصلية في بغداد عام ١٧٤٢، وأكد أن رجال الدين يعملون لمصالحهم الخاصة وليس لخدمة التجارة الفرنسية [٦٣].

وفي عهد غوس وصلت البصرة ثلاث سفن فرنسية تحمل ٢٨٠ بالة من القهوة البوربونية والحديد والانسجة الصوفية والحريرية والشراشف والسكر والأشرطة الذهبية والفوانيس والشمعدانات والفاكهة المجففة [٦٤].

ويعتقد أن انشغال الفرنسيين في حروبهم في أوربا، واندلاع الحرب مع بريطانيا في الهند، قد أدى إلى عدم الاهتمام بقنصلية البصرة [٦٥] ، والدليل على ذلك هو قرار مجلس الشركة في بوند شيري عام ١٧٤٥ عدم إرسال أية سفينة إلى الخليج العربي، ومن ثم عدم وصول المساعدات إلى القنصل الفرنسي الذي اضطر إلى مغادرة البصرة في ١٥تموز/ يوليو ١٧٤٥ [٦٦]. وكان مجلس مدراء الشركة في باريس قد قرر في ١٨ آيار/مايو ١٧٤٤إغلاق قنصلية البصرة. ولم تسع السلطات الفرنسية إلى إرسال أي وكيل بدلاً عنه إلا عندما اشتد النزاع بينها وبين الانكليز في الهند، إذ

قامت في السنة نفسها بتعيين بيترو دو بيردريو Petro de Perdrieu كمقيم لها في البصرة لمراقبة تحركات الانكليز وإرسال الأخبار إلى فرنسا [٦٧]. ففي شهر تموز/ يوليو ١٧٥٥وصل بيردريو إلى البصرة وسمحت له السلطات العثمانية بإعادة فتح مقر القنصلية ورفع العلم الفرنسي عليها [٦٨]. وعندما وصلت إلى الهند الأنباء الخاصة بإعادة فتح القنصلية الفرنسية في البصرة، شعر مسؤولو شركة الهند الشرقية الانكليزية بالخطر لان الحرب بين بريطانيا وفرنسا أصبحت وشيكة الوقوع. ولذلك فقد أبلغ المقيم الانكليزي في البصرة فوراً ان يتابع بدقة محاضر جلسات المقيم الفرنسي في البصرة والتحري عن اتصالاته، طالما أنه عين لمراقبة النشاطات الانكليزية، وان يبعث بملاحظاته باستمرار إلى الشركة، وان يقوم بنقل المعلومات إلى أوربا [٦٩] .

وعلى الرغم من أن وصول هذا القنصل لم يعمل على زيادة التجارة الفرنسية مع البصرة، إلا انه لعب دوراً نشيطاً في حياة البصرة الاجتماعية، ففي عام ١٧٥٨تمكن بيردريو من الحصول على فرمان من باشا بغداد ينص على الاعتراف بالممثل الفرنسي كرئيس للجالية الأوربية في البصرة. وقد احتج المقيم الانكليزي على هذا الفرمان، الأمر الذي أجبر الباشا إلى سحبه فوراً [٧٠] .

لقد اكتسبت البصرة أهمية تفوق كونها واحدة من المراكز التجارية في الهند، لاسيما أثناء مدة الصراع البريطاني الفرنسي في الهند، وذلك لأن نقل الرسائل بطريق بصرة-حلب الصحراوي أصبح أحد الأعمال الأساسية للمقيم الفرنسي والبريطاني في البصرة. ومن المؤكد ان الفرنسيين كانوا يعترضون سبيل البريد الانكليزي، ولم يكن من الصعب على بيردريو أن يرشو حملة الرسائل الانكليزية لتسليمها إليه أو تمزيقها. وكان القنصل الانكليزي يلجأ إلى الأسلوب نفسه مع البريد الفرنسي. وقد أبدى السفير الفرنسي في اسطنبول تذمره من تأخر وفقدان البريد الفرنسي من وإلى الهند [٧١].

لقد حاول بيردريو إحياء التجارة الفرنسية في البصرة وكتب يوجه انظار حكومته إلى أهمية التجارة الانكليزية وحثها على مسايرة بريطانيا في هذا الميدان، وكتب

يقول: ((ترسل حكومة الهند في كل سنة إلى البصرة خمس أوست سفن محملة بالمنسوجات الصوفية والقطنية والسكر والتوابل حيث توزع بعد ذلك في بغداد وفارس والبلاد الأخرى المحيطة بالخليج)) [٧٢]. وعلاوة على بيردريو فقد لعب بواسلانPyrault، وكيل شركة الهند الشرقية الفرنسية في البصرة دوراً مماثلاً، وذلك حينما أوضح لمجلس الشركة في بوندشيري أهمية البصرة لما لها من دور رئيس في تجارة الخليج العربي بوصفها مركز للاستهلاك والتجميع والتوزيع ، فضلا عن أنها مصدر مهم لتزويد السفن القادمة من ايل دو فرانس وبوربون بالحبوب والتمور والمواشي. وطالب بضرورة زيادة السفن الفرنسية المتوجهة إلى البصرة، وإرسال المساعدات إلى وكلاء الشركة فيها حتى يتمكنوا من مواجهة وكلاء شركة الهند الشرقية الانكليزية الذين يعملون على مراقبة نشاطات وكلاء شركة الهند الشرقية الفرنسية في البصرة [٧٣].

لقد ظل الانكليز يعملون دائماً إلى القضاء على النفوذ السياسي والتجاري الفرنسي في البصرة. ففي عام ١٧٦٥طلبت شركة الهند الشرقية الانكليزية من .R Gordenالمقيم الانكليزي في بغداد أن يقنع باشا بغداد بمنع مرور التجارة الفرنسية عبر الصحراء من سوريا إلى بغداد ومنها إلى البصرة، لاسيما المنسوجات الصوفية التي كانوا يتاجرون بها على نطاق واسع [٧٤]،

لقد استمرت أهمية البصرة في نظر بيردريو حتى بعد نقله قنصلاً في حلب، وكان ذلك واضحاً من خلال التقرير الذي كتبه إلى وزارة الخارجية الفرنسية في ٢٧كانون الأول/ديسمبر ١٧٦٧ الذي يقول فيه: ((يأمل باشا بغداد أن يرى انتعاش التجارة الفرنسية في البصرة وبغداد)) [٧٥] ولما كانت البصرة هي المركز الرئيس الذي ترسل منه الأخبار الخاصة بالهند إلى اسطنبول وباريس وبالعكس، فقد طالب بيردريو من شركة الهند الشرقية الفرنسية بضرورة الاهتمام بشكل أكبر في البصرة [٧٦] ، لاسيما بعد أن نقلت شركة الهند الشرقية الانكليزية وكالتها التجارية الرئيسية في

الخليج العربي من بندر عباس إلى البصرة، التي اعترف بها الباب العالي على أنها قنصلية مشمولة بنظام الامتيازات [٧٧]. لذا فقد طلب الدوق دوبرسلان dePraslin وزير البحرية الفرنسية إرسال بيردريو إلى البصرة بدرجة قنصل، مع مساعدة مالية قدرها (٧٠٠٠) روبية على الأقل دون احتساب النفقات الثانوية، وذلك لضمان الاتصالات بين الهند واسطنبول، وطالب بإنشاء وكالة تجارية في مسقط، وتعيين قنصل أو نائب قنصل مدني في بغداد، لاسيما ان أسقف بابل غير قادر تماماً على القيام بوظيفة القنصل [٧٨] .

وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية لم تكن متحمسة كثيراً لتنفيذ هذه الأفكار، إلا أنها قامت بتعيين جان بابتست روسو J. B. Rousseau قنصلاً في البصرة عام ١٧٨٠ [٧٩] . وحاول روسو تطوير التجارة الفرنسية حيث بدأت المنسوجات الفرنسية تتنافس مثيلاتها الانكليزية في البصرة وفارس بسبب رخص ثمنها. وقد لعب دوراً نشيطاً في حياة البصرة وبغداد وتمتع بمكانه مرموقة لدى السكان والمسؤولين فيهما. ولكن على الرغم من جهوده ومحاولاته اقناع الحكومة الفرنسية بضرورة الدخول في منافسة عملية ضد الانكليز في البصرة وإرسال الهدايا إلى كبار الشخصيات في البصرة وبغداد، فإن الحكومة الفرنسية لم تحرك ساكناً ولم تبادر إلى اتخاذ إجراء حاسم حتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ [٨٠].

ويلاحظ الباحث اثناء دراسته للوثائق الفرنسية أن الهدف الرئيس من إقامة القناصل الفرنسيين في البصرة هو العمل على تطوير التجارة الفرنسية وحماية البعثات التبشيرية وزيادة نفوذ فرنسا السياسي والثقافي ومراقبة النشاطات السياسية والتجارية الملاحية البريطانية في العراق ومناطق الخليج العربي الأخرى. وعلى الرغم من قدم علاقات فرنسا مع البصرة وجهود بعض القناصل الفرنسيين بتطوير النفوذ الفرنسي في العراق، إلا أن النشاط السياسي والتجاري الفرنسي ظل منقطعاً ومحدوداً وغير مؤثر حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

هوامش البحث

١. الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٥.
٢. ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، بدون سنة طبع، ص١٦.
٣. المصدر نفسه، ص١٦-١٧؛ الكسندر آداموف، المصدر السابق، ص٣٧٠.
٤. الموسوعة البرتغالية، السلسلة التاريخية، تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تيخسيرا، ترجمة عيسى أمين، البحرين، ١٩٩٦، ص٧٤-٧٩.
٥. ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص٦٦.
٦. الكسندر آداموف، المصدر السابق، ص٧٦ ; صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٦.
٧. ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص١٩.
٨. عبدالأمير محمد امين، المصالح البريطانية في الخليج العربي١٧٤٧-١٧٧٨، بغداد، ١٩٧٧، ص١٩.
٩. المصدر نفسه، ص٣٩.
١٠. هيفاء عبدالعزيز الربيعي، غزاة في الخليج العربي، الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية له، دراسة تاريخية، بغداد، ١٩٨٩، ص٦٥-٦٦.
11. *R. Vadala, Le Golfe Persique, Paris, 1920, P. 26*
12. *De Hammer, Mémoir Sur les Premieres Relations diplomatiques entre la France et la Porte, Journal Asiatique, Tome x, paris, 1827, pp.19-45; G.zeller, une légende qui à la vie dure, les capitulations de 1535, Revue d'histoire moderne, Tome 11, paris, 1955, pp. 127-132.*

13. *Pietro della Valle, The Travels of pietro della valle in the East and the Arabian desert, London, 1665, p.247.*

١٤. الكسندر آداموف، المصدر السابق، ص٢١٦-٢١٧.

15. *A. Carré, The Travel of Abbe Carré in India and the Near East, From 1627 to 1674, vol.1, London, 1974, p 8.*

١٦. ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص١١٩.

١٧. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، المراسلات القنصلية والتجارية، بغداد، مجلد ١٧٦، ص١٨٦-١٨٧.

١٨. جان بابتست تافرينه، نبيل فرنسي كان يعمل بتجارة الأحجار الكريمة في تركيا وفارس والهند. وقد أشتهر برحلاته الست إلى هذه البلدان التي استغرقت أكثر من خمس وعشرين سنة. وقد نشرت رحلاته في باريس عام ١٧١٢. وخصص المجلد الأول الذي تألف من (٦٣٦) صفحة للحديث عن فارس والعراق والخليج العربي من النواحي الجغرافية والسياسية والاقتصادية. لمزيد من التفاصيل، ينظر:

J. B. Tavernier, Les Six Voyages de Jean-Baptiste Tavernier en Turquie, en perse et aux Indes, 1638-1663, 4vols, paris, 1712.

19. *R. P. Phillipe, Voyage d'Orient, Lyon, 1652, pp.47-48.*

٢٠. نقلاً عن، فلاح حسن عبدالحسين، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، موسوعة البصرة التاريخية، جامعة البصرة، ١٩٨٩، ص٣٣٤-٣٣٥.

٢١. كارستن نيبور، مشاهدات نيبور في رحلة من البصرة إلى الحلة عام ١٦٦٥، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، ١٩٤٥، ص١٠.

٢٢. إبراهيم محمد ساجت الزبيدي، طريق الفرات الصحراوي (بصرة-حلب) في العصر الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠، ص٣٣٨.

٢٣. نقلاً عن، فلاح حسن عبدالحسين، المصدر السابق، ص٣٣٨.

24. A. Carré, op. cit., vol. 2, p.8.

٢٥. أسست أول شركة فرنسيه للتجارة مع الهند عام ١٦٠٤م لكنها ولدت ضعيفة بسبب النزاع بين مؤسسيها وقلة رأسمالها. وفي عام ١٦١١ أسست شركة فرنسية أخرى لكنها واجهت المصاعب نفسها التي واجهت الشركة الأولى. وفي ٢٨ آيار/مايو عام ١٦٦٤وبفضل جهود الوزير الفرنسي كولبير *(Colbert)*، أسست شركة فرنسية بأسم ((شركةالهند الشرقية الفرنسية)) التي حصلت على امتياز كامل لمدة خمسين عاماً للمتاجرة مع المناطق الممتدة من رأس الرجاء الصالح إلى الهند والبحار الشرقية.

للإطلاع على التفاصيل الكاملة الخاصة بتأسيس الشركة الفرنسية، ينظر:

P. Bonnaissieux, Les Grandes Compagnies de Commerce, paris, 1892; P. Kaeppelin, Les originsde l' inde francois La Compagniedes Indes et Francois Martin , paris, 1908, pp. 85-89.

26. R. Vadala , op. cit., , p.26.

٢٧. ستيفن همللي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٨، ص٣.

٢٨. أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، مذكرات ووثائق، تركيا، المجلد٣، رسالة الإرسالية التبشيرية إلى السفير الفرنسي في اسطنبول، كانون الثاني/يناير ١٦٧٩.

٢٩. المصدر نفسه، رسالة السفير الفرنسي في اسطنبول إلى رئيس المبشرين الكرمليين، أيلول/ سبتمبر ١٦٨٢.

٣٠. المصدر نفسه، رسالة رئيس المبشرينإلى السفير الفرنسي في اسطنبول ، ٢ آب/ أغسطس ١٦٨٢.

٣١. محمد عبدالله العزاوي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، موسوعة البصرة التاريخية، جامعة البصرة، ١٩٨٩، ص٢٩٨.

32. *M. Al-Azzawi, La Rivalité Franco-Britannique, dans le Golfe Arabe 1793-1862, Tome 2, these de doctorat d'Etat, universitè de provence (France), 1985,p. 102.*

٣٣. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بوندشيري، المجلد الأول، ص٢٦٢-٢٦٣، مذكرة المجلس الأعلى لبوندشيري.

٣٤. المصدر نفسه.

٣٥. المصدر نفسه، المجلد ١٣، رسالة المجلس الأعلى لبوندشيري إلى مقر الشركة في باريس، ، ٢ آذار/ مارس ١٧٣٤.

36. *A. Martineau, Le Premier Consulat de France à Bassora 1739-1745, Revue de L'histoire des Colonies Françaises, paris, 1917, p. 8.*

37. *Ibid, P. 9.*

٣٨. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بوندشيري، المجلد الأول، رسالة السفير الفرنسي في اسطنبول إلى فورنيه، ٢٨ آذار/ مارس ١٧٣٢.

٣٩. المصدر نفسه، رسالة دوبوا رولان إلى مجلس بوندشيري، ٩ تموز/ يوليو ١٧٣٤.

40. *A. Martineau, op. cit., pp. 10-11.*

٤١. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بوندشيري، المجلد الأول، تعليمات المجلس الأعلى لبوندشيري إلى دوبوا.

٤٢. المصدر نفسه، رسالة الاب امبرواز إلى المجلس الأعلى لبوندشيري في ٩ تشرين الأول/ اكتوبر ١٧٣٥.

٤٣. المصدر نفسه، المجلد ٥، مداولات بين مقر الشركة في باريس والمجلس بالأعلى لبوندشيري.

٤٤. المصدر نفسه، دوموربا إلى السفير الفرنسي في اسطنبول.

٤٥. المصدر نفسه، رسالة الشركة إلى المجلس الأعلى لبوندشيري، في ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٧٣٦.

٤٦. المصدر نفسه، المداولاتبين مجلس بوندشيري ومجلس شاندر ناكور حول قنصلية البصرة.

47. A. Martineau, op. cit., pp. 20-23.

٤٨. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بوندشيري، المجلد ١٠١، مراسلات مارتنفيل مع المجلس الأعلى لبوندشيري.

٤٩. المصدر نفسه.

٥٠. المصدر نفسه، رسالة مارتنفيل إلى مدراء الشركة في باريس، ٤ آيار/ مايو ١٧٤٠.

٥١. المصدر نفسه، رسالة مارتنفيل إلى مدراء الشركة، آيار/ مايو ١٧٤٠.

٥٢. المصدر نفسه، رسالة مارتنفيل إلى الشركة في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٧٣٩.

٥٣. المصدر نفسه، مراسلات مارتنفيل مع الشركة والمجلس الأعلى .

٥٤. المصدر نفسه.

٥٥. المصدر نفسه.

٥٦. المصدر نفسه، رسالة المجلس الأعلى لبوندشيري إلى مجلس المدراء في باريس، ١٢ حزيران/يونيو ١٧٤٢.

٥٧. المصدر نفسه.

٥٨. المصدر نفسه، رسالة مارتنفيل إلى المجلس الأعلى لبوندشيري في ٢٦تشرين الأول/اكتوبر ١٧٤١.

٥٩. المصدر نفسه.

٦٠. المصدر نفسه، رسالة غوس إلى المجلس الأعلى لبوندشيري، ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٧٤١.

61. A. Martineau, op. cit., pp. 397-398.

62. Ibid, pp.398-405.

63. Ibid, pp.407-408.

64. Ibid, pp.406-408.

65. P. Masson, Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVIII Siècle, Paris, 1911, pp.432-433.

٦٦. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بصرة، المجلد ١٧٩، تقرير حول تجارة البصرة.

67. M. Al-Azzawi, op. cit., Tome 1, pp. 106-107.

٦٨. عبدالامير محمد أمين، المصدر السابق، ص٩٢.

٦٩. المصدر نفسه، ص٩٩.

٧٠. المصدر نفسه، ص٩٢.

٧١. المصدر نفسه، ص٩٦-١١٤.

٧٢. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٠٨.

٧٣. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بصرة، المجلد ١٩٧، رسالة بيردريو إلى مدراء الشركة في باريس، ٩ شباط/فبراير ١٧٧٤.

٧٤. عبدالامير محمد أمين، المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٩.

٧٥. نقلاً عن: *P. Masson, op. cit., pp. 543-545.*

٧٦. الأرشيف الوطني الفرنسي المحفوظ في وزارة الخارجية الفرنسية في باريس، شؤون خارجية، مراسلات قنصلية وتجارية، بصرة، المجلد ١٩٧، رسالة بيردريو إلى مدراء الشركة في باريس، ٩ شباط/فبراير ١٧٧٤.

٧٧. عبدالامير محمد أمين، المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٩.

78. M. Al-Azzawi, op. cit., Tome 1, p. 108.

79. M. Al-Azzawi, Les Intérêts Français dans le Golfe Arabe, 1844-1890, Aix-en-Provence (France), 1977, p.9.

80. M. Al-Azzawi, op. cit., Tome 1, pp. 108-109.